جامعة حماة -كلية التربية
السنة الثانية -رياض الأطفال -تعليم مفتوح
العام الدراسي 2019-2020

الخبرات اللغوية

2019-2020

د. نسرين زيد

منشورات جامعة دمشق
نظام التعليم المفتوح
برنامج رياض الأطفال

الخبرات اللغوية
في رياض الأطفال

الدكتور
أحمد علي كنعان
أستاذ في قسم المناهج وأصول التدريس

الدكتور
فرح سليمان المطلق
أستاذ في قسم المناهج وأصول التدريس

جامعة دمشق
١٤٣٩ - ١٤٤٠ هـ
٢٠١٧ - ٢٠١٨ م

الفصل الأول

مفهوم اللغة ولغة الطفل

أولاً: مفهوم اللغة ووظائفها.

ثانياً: مراحل اكتساب اللغة لدى الطفل وسماتها.

ثالثاً: العوامل المؤثرة في اكتساب اللغة.

الفصل الأول
مفهوم اللغة، ولغة الأطفال

أولاً – مفهوم اللغة ووظائفها:

١ – مفهوم اللغة:

جاء في لسان العرب أنَّ اللغة هي: اللسن، وحدُّها أنها أصوات يعبِّر بها كلُّ قوم عن أغراضهم. واللغا: الصوت، لغا في القول يلغى، وبعضهم يقول يلغو: ولغا، يلغو، لغواً: تكلم. وفي الحديث: من قال يوم الجمعة. والإمام يخطب لصاحبه: صه، فقد لغا، أي تكلم، واللغة على وزن فعة من لغوت أي تكلمت، وأصلها لغوة، والنسبة إليها لُغوي ولا تقل: لَغوي.

أما في دائرتي المعارف البريطانية والعلوم الاجتماعية، فقد عرَّف ميللر (Miller) اللغة، بأنها استعمال رموز صوتية مقطعية، يعبّر بمقتضاها عن الفكر وعلى هذا النحو عرَّفها جون كارول (Carroll John)، بأنها «ذلك النظام المتشكل من الأصوات اللفظية الاتفاقية، وتتابعات هذه الأصوات التي تُستخدم، أو يمكن أن تُستخدم في الاتصال المتبادل بين جماعة من الناس والتي يمكنها أن تصف بشكل عام الأشياء والأحداث والعمليات في البيئة الإنسانية» (وزارة التربية، ٢٠٠١، ٤).

وهناك من يرى أنّ اللغة الصوتية، أو لغة النطق كانت على الدوام، هي لغة المجتمع البشري الوحيدة القادرة على أن تكون وسيلة مقبولة تماماً للتواصل بين الناس.

وفي ضوء التعريفات السابقة للغة نخلص إلى القول: إنَّ اللغة الصوتية هي وسيلة الاتصال الأكثر ملاءمة، والأكثر مرونة والأوفر تنوعاً للتعبير عن الأفكار الذهنية المجردة.

ومن التعريفات ما يستخدم «لفظ اللغة استخداماً موسعاً؛ ليشمل بالإضافة للوسائل اللفظية كلَّ وسائل الاتصال غير اللفظي الأخرى، ونجد مثالاً لذلك في التعريف الذي يقدمه ليوبولد (Leopold) والذي يعرِّف فيه اللغة على أنَّها القدرة على الاتصال بالآخرين، بما في ذلك كلَّ أشكال الاتصال وأنواعه، وتشمل اللغة طبقاً لذلك أشكالاً مختلفة ومتنوعة للاتصال مثل: الكتابة والكلام والعلامات والإشارات وتعبيرات الوجه، وحتى التعبير الصامت بالحركة (البانتوميم) والفن (كرم الدين، ١٩٩٠، ١٧).

٢ - وظائف اللغة:

تعدُّ اللغة من أهم ما وصل إليه الإنسان من وسائل التفاهم؛ لما تمتاز به من اليسر والوضوح، ودقة الدلالة، والقدرة على التعبير عن العواطف والمعاني الوجدانية، وعن المواقف الفكرية والنفسية والفلسفية، وتؤدي اللغة وظائف متعددة في حياة الفرد والمجتمع:

أ - وظيفة اللغة في حياة الفرد:

اللغة وسيلة اتصال الفرد بغيره، وعن طريق هذا الاتصال يدرك حاجته ويحصل مأربه، كما أنَّها وسيلة للتعبير عن آلامه وآماله وعواطفه وهي أداة لزيادة ثقافته وتنمية خبراته، فاللغة تهيئ للفرد فرصاً كثيرة متجددة للانتفاع بأوقات الفراغ، عن طريق القراءة، وزيادة الفهم للمجتمع الذي يزيد إنتاجه الفكري يوماً بعد يوم، واللغة أداة الفرد حين يحاول إقناع غيره في مجالات المناقشة والمناظرة وتبادل الرأي في أمر حيوي، وهي وسيلة - كذلك - حين يريد التأثير في جماعة ليسلكوا سبيله، وينهجوا نهجه فيما يدعوهم إليه.

– واللغة – كذلك أداة التفكير، والصلة بين اللغة والفكر صلة وثيقة محكمة، لأنَّ الفكرة منذ إشراقها في الذهن تظل عامة شائعة يعوزها الضبط والتحديد، حتى تجد الوسيلة التي تعبِّر عنها من لغة، أو رسم أو إنموذج، ودور اللغة في هذا التعبير له المقام الأول، ولذا يقال: التفكير كلام نفسي، والكلام تفكير جهري، ويقول الشاعر في هذا المعنى:

إنَّ الكلام لفي الفؤاد وإنَّما جُعِلَ اللسانُ عن الفؤاد دليلا

– ومن أهم ما يفيده الفرد من اللغة تغذية الجانب العاطفي عن طريق التذوق الجمالي للآثار الأدبية، ووظيفتنا التربوية لا تقف عند تمكين الطفل من التعبير السليم، بل يجب أن نأخذه بسلامة الذوق وجمال التعبير، كما يستطيع الفرد عن طريق القراءة أن يرى صوراً ومناظر لا تتهيأ له رؤيتها، واللغة أداته للإفادة من تجارب الجنس البشري وثمار القرائح والعقول عن طريق القراءة والاستماع.

ب – وظيفة اللغة في حياة المجتمع:

تعدُّ اللغة مرآة للحياة العقلية لأي أمة من الأمم، تكشف عن مدى تطورها ورقيها، وتنهض اللغة بدور كبير في حياة المجتمع، فهي تقوم بتنظيم حياته وقضاء مآربه الإدارية والسياسية والتعليمية ونحوها، فاللغة وسيلة اجتماعية، وأداة للتفاهم بين الأفراد والجماعات، فهي سلاح الفرد في مواجهة كثير من المواقف الحيوية، التي تتطلب الكلام أو الاستماع أو الكتابة، أو القراءة، وهذه الفنون أو المهارات الأربعة أدوات مهمة في إتمام عملية التفاهم من جميع نواحيها، ولاشكَّ أنَّ هذه الوظيفة من أهم الوظائف الاجتماعية للغة.

ومن الوظائف الاجتماعية للغة اتخاذها أداة للدعاية والتأثير، فالخطب والمقالات والنشرات والإذاعة والمؤلفات، كلها وسائل لغوية لهذه الدعاية، التي

أصبح لها شأن خطير في الحياة الإنسانية. واللغة - كذلك - من أهم وسائل الارتباط الروحي بين أفراد مجتمع معين، وقد تختلف مجموعات من الدول في البيئة، أو الجنس، أو الدين، أو غير ذلك من الفوارق الاجتماعية والاقتصادية، ولكنّها تظل متحدة متماسكة، إذا كانت لغتها واحدة.

وأوضح مثال لذلك الأمة العربية، فاللغة العربية تعدُّ أعظم مقومات الأمة العربية والرابطة الكبرى في وحدتها وتماسكها.

واللغة - أيضاً - عامل مهم في حفظ التراث الثقافي والحضاري، ونقله من جيل إلى جيل، والمشاركة في تنمية هذا التراث للأجيال المستقبلة، وقد بدأ المفكرون ينظرون إلى اللغة على أنّها من أهم وسائل تحقيق فكرة التقارب والتفاهم العالمي، وذلك بتبادل الآداب المختلفة والدراسات الاجتماعية مثل: التاريخ والاجتماع والتربية الوطنية، وغير ذلك مما يوضح آمال الشعوب وطبائعها، وعواطفها، ومزاياها وكلُّ هذا يساعد على تقريب وجهات النظر بين الشعوب المختلفة.

وهناك من رأى أنَّ للغة ست وظائف هي: «١ - الوظيفة الانفعالية أو التعبيرية - ٢ - الوظيفة الاستمرارية - ٣ - الوظيفة الشعرية - ٤ - الوظيفة النزوعية أو الندائية - ٥ - الوظيفة المرجعية أو الدلالية - ٦ - الوظيفة الوصفية أو التقعيدية»(عمار، ٢٠٠٢، ٤٢ - ٤٣).

وهناك من يجمل الوظائف المختلفة للغة في نوعين عريضين نقلاً عن بعض علماء النفس، وهذان النوعان من الوظائف هما:

«١ - اللغة نظام من الاستجابات يساعد الفرد على الاتصال بغيره من الأفراد، أي أنّ اللغة تحقق وظيفة الاتصال بين الأفراد، بكل أبعاد عملية الاتصال وجوانبها.

٢ – اللغة نظام من الاستجابات يسهّل التفكير والعمل بالنسبة إلى الفـــرد ذاته، أي أنّ اللغة تؤدي وظيفة الاتصال بين الفرد وذاته، أي داخل الفرد، فما أن يكتسب الفرد، ولو قسطاً يسيراً من الاستجابات اللفظية واللغوية، حتى يبدأ فـــي استخدامها كأداة للاتصال، فيما بينها وبين نفسه في القيام بعمليات التفكير المعقدة بكلّ أشكالها.» (كرم الدين، ١٩٩٠، ١٣).

ج- وظائف اللغة بالنسبة إلى الطفل:

تحقق اللغة – حسب رأي بعض علماء نفس الطفل – وظائف إضافية كمـا سبق من وظائفها العامة لعلّ أهمها:

«١ – يرى بعض علماء النمو وبصفة خاصة عالم النفس السويسري جان بياجيه نتيجة لدراسته وتجاربه العديدة على الأطفال، أنّ الطفل يحقق عن طريـق حديثه، وعلى الأخص خلال السنوات المبكرة من عمره رغبته في التحدث أولاً، وقبل كل شيء لنفسه وعن نفسه لا للآخرين، ويطلق بياجيه على حديث الطفـــل لنفسه اسم اللغة المركزية الذات (Egocentrics Speech)

بينما يُطلق على اللغة الموجهة للمجتمع اسم اللغة المجتمعيـة (Socialized Speech) ومن أهم خصائص النوع الأول، أنّ الطفل في حديثـــه لا يـــهتم بـــأن يسمعه الآخر، أو يفهم ما يقوله، ولا يأخذ وجهة نظر الســـامع فـــي الاعتبـــار، ويكون حديثه شيئاً يصاحب نشاطه الجسمي ويعبّر عنـــه. وقـــد حـــدد بياجيـــه خصائص كلٍّ من الحديث المركزي الذات والموجه للمجتمع بالتفصيل.

وقد كشف نتائجه أن نسبة الحديث المركزي الذات تبلغ حوالي ثلث حديـث الطفل حتى سن السادسة، وأنّها تتناقص تدريجياً مع زيادة عمر الطفل وتطوره.

٢ – تساعد اللغة على تكوين عالم الطفل بكل أبعاده وجوانبه، وتســـاعده على وضع الافتراضات حول الأشياء الممكنة الوقوع في العالم من حوله.

٣ – تساعد اللغة الطفل على تعرّف العادات والقيم السائدة في مجتمعه ومن ثم التحكم في سلوكه، وضبطه طبقاً لتلك القيم والأعراف والعادات.

٤ – يتعلم الطفل عن طريق اللغة وعن طريق استدخال أو استبطان (internalization) الأفكار والمشاعر والاتجاهات السائدة حوله، وعلى الأخص بالوالدين.

٥ – تقوم اللغة بدور في تحقيق شعور الطفل بالأمن أو عدم الأمن، ومن المعروف أنّ الطمأنينة شعور ضروري لصحة الطفل النفسية وسلامتها، فجميع مشاعر الأمن والطمأنينة وغيرها، يمكن غرسها في الطفل عن طريق اللغة، وما تتضمنه من كلمات، لذلك يؤكد كثير من علماء النفس أنّ مدى توافق الطفل الاجتماعي(Social adjustment)، يتأثر إلى حد بعيد بلغته، كما أنّ لغته بدورها تتأثر بمدى توافقه الاجتماعي، أي أنّ العلاقة بين اللغة والتوافق الاجتماعي علاقة متبادلة وعلاقة تفاعلية.» (كرم الدين، ١٩٩٠، ١١ – ١٣).

وهناك من يضيف إلى وظائف اللغة لدى الطفل دورين أساسين تؤديهما اللغة في تكيف الطفل النفسي والاجتماعي، لأنّ اللغة وظيفة نفسية ترتبط إلى جانب كبير بالجانب النفسي للطفل، فإذا استخدمت اللغة معه على أنها أداة تعبير عن النفس، كان معنى هذا زيادة الحصيلة اللغوية للطفل التي تمكنه من الانطلاق والحرية في تعبيره، وفي هذا إشباع لما في النفس، وإذا كان الطفل قادراً على التعبير بطلاقة فهو يشعر بالراحة النفسية، في حين أنّ عدم قدرته على التعبير يسبب له مشكلات كثيرة منها: الخجل والارتباك والانطواء والعزلة وعدم الثقة بالنفس والعدوان، ولاسيما إذا كان عند الطفل قصور نطقي عضوي أو نفسي.

أما في التكيف الاجتماعي، فللغة دورها المهم بأنّها أداة الإنسان في التعبير والتفاهم ؛ لتحقيق مطالب الحياة، واللغة في ذاتها عملية اجتماعية، وأداة اتصال عن طريق رموزها المنطوقة، ومما لاشكّ فيه أنّ اللغة الحية أكثر من

مجرد كلمات، بل هي تضرب جذورها بعمق في السلوك الإنساني، لدرجة أنّ الإنسان يشكُّ في أن هنالك جزءاً من الجانب الوظيفي في سلوك الإنسان، لا تقوم فيه اللغة بدور مهم.

ومما لاشكَّ فيه أنّ الدور الذي تقوم به رياض الأطفال مهم جداً، في مجال إيجاد الخبرات اللغوية التي تساعد الطفل على التكيف النفسي والاجتماعي؛ لأنّ اللغة فيها تقتضيها حاجة الطفل ومواقفه، (أي ليست مفروضة عليه)، وهي أداته في تحقيق غاياته واتصاله بالآخرين، مما يشعره بالراحة والرغبة في استعمال اللغة واكتسابها.

واللغة وسيلة لا غاية وبخاصة في عالم الطفل، وتحقق له الاتصال مع عالمه المحيط به وعالمه القريب إلى ذهنه، وتسهم في توافقه الشخصي والاجتماعي ولاسيما مع مجموعة الأقران، وتفيده في تأكيد الذات والاعتماد على النفس والاستقلال وحب الاستطلاع بالإضافة إلى الاتصال الاجتماعي.

ثانياً: مراحل اكتساب اللغة لدى الطفل وسماتها:

١ - مراحل اكتساب اللغة:

لاشكَّ أنَّ اكتساب اللغة يتم في مراحل الطفولة الأولى، فإذا تأخر الكائن البشري عن هذه الفترة، كانت ثمة صعوبة في اكتساب اللغة، وأنَّ الطفل يكتسب لغة المجتمع الذي يحيا فيه، وأنَّه بعد سن معينة، قد لا يستطيع اكتساب أية لغة بشرية على الإطلاق.

ويرى (سكينر) وأتباعه في الولايات المتحدة الأمريكية، أنَّ اكتساب اللغة يتم في الوسط الاجتماعي عن طريق المثير والاستجابة، فالطفل يتعلم أنَّ إحداث بعض الأصوات التي تشبه ظاهرياً بعض الأصوات المقبولة اجتماعياً، لبعض الكلمات مثل «لبن» أو «ماء» يؤدي إلى استجابة بالتشجيع أو بمظاهر المحبة أو

الحصول على الأشياء التي أشار إليها، ومن ثم تقوى هذه الأصوات أو الكلمات، أما الأصوات أو الكلمات الأخرى التي لا تُكافأ بهذه الصورة فإنها تنطفئ، وعزا (سكينر) نجاح الطفل في اكتساب مادة اللغة المعقدة إلى التدريب المتواصل المتحكم فيه.

واتفق أيضاً أنصار مدرسة (بافلوف) السلوكية، مع ما نادى به (سكينر)، ويرى السلوكيون أنّ اللغة تتألف من ردود فعل، أو استجابات لمؤثرات خارجية، يصبح الشكل المقبول منها اجتماعياً عادة لدى الفرد، عن طريق الثواب الذي يقدمه له المجتمع سواء اقتصر هذا المجتمع، على الوالدين، أم امتد إلى أبعد من ذلك.

أما الدراسات الحديثة التي قام بها «تشومسكي» وأتباعه في الولايات المتحدة الأمريكية، فقد نقضت ما جاء به السلوكيون، إذ إنهم لا يرون أنَّ عقل الطفل بمنزلة إناء يصب فيه المجتمع قوالب جاهزة من اللغة، يغرف منها الطفل ما يشاء، وإنّما يرون أنّ الطفل لا يكتسب اللغة وذهنه صحيفة بيضاء، بل يكتسبها بوعي كامل، ويستعمل أساليب علمية تجريبية في أثناء تعلمه لغة مجتمع ما، فهو عنصر إيجابي متفاعل مع اللغة التي يتعلمها.

والقدرة الكامنة عند الأطفال التي تساعدهم على اكتساب اللغة، والتي أطلق عليها تشومسكي (القدرة اللغوية الإبداعية) تعمل على التوليد أيضاً، إذ بها يتمكن الطفل من الإتيان بمئات التراكيب والأنماط اللغوية التي لم يسمع بها من قبل، ولم تدخل في نطاق خبراته.

وقد أكدت الدراسات اللغوية الحديثة أنَّ الطفل لا يكتسب اللغة بالمحاكاة وحدها، وإنّما بفضل تلك الإبداعية اللغوية التي تمكّن الطفل من استخدام قواعد خاصة به، يجري تعديلها باستمرار إلى أن تشبه القواعد التي تحكم لغة الكبار.

٢ - مراحل اكتساب اللغة عند الطفل:

أثبتت الدراسات اللغوية الحديثة، أنّ اكتساب اللغة عند الأطفال يقسم إلى أربع مراحل:

أ - مرحلة ما قبل اللغة:

هي مرحلة الصياح أو الصراخ، وقد تمتد هذه المرحلة من مولد الطفل إلى أسبوعه السابع أو الثامن.

ب - مرحلة المناغاة:

هي مرحلة ممارسة الأصوات وإتقانها بالتدريج، وتبدأ هذه المرحلة بعد الشهر الثالث، وتستمر حتى نهاية السنة الأولى من حياته، وتعدُّ فترة المناغاة مرحلة سابقة لتقليد الكلام، فالطفل يدرك تنوع الأصوات التي يخرجها ويسمعها، ويربط بينها وبين طرق إخراجها، وتبدأ أذن الطفل بالتمييز بين الأصوات المختلفة، وهنا يظهر عامل وجداني يؤدي دوراً هاماً في نمو الطفل من جديد، وهو عامل الشعور بالمقدرة أو الإحساس بالقوة، أو التمكن من إحداث صوتٍ يسمعه بأذنيه، وهذا كلّه يشعره بلذة النجاح ويخلق فيه الاهتمام بمواصلة الجهد، والاندفاع للاستمرار بالقيام بمحاولات جديدة أطول مدة وأكثر تنوعاً، وهذا العامل يسهم في تعلُّم الكلام.

ج - مرحلة المحاكاة أو التقليد:

تبدأ هذه المرحلة منذ نهاية السنة الأولى من حياة الطفل، وتستمر حتى السن المدرسية، وفي هذه المرحلة يأخذ الطفل بمحاكاة من حوله، وبتقليد أصوات الكبار المحيطين به، وبتقليد حركات الوجه وتعبيراته، وإنَّ الحركات المعبرة عند الطفل هي جسر موصل إلى لغة الكلام، فالطفل يبدأ بالانتباه إلى الكلمات المنطوقة في المحيط ويرتاح إليها، أو إلى أي صوت كان، ثم يلتفت إلى مصدر

الصوت الذي أتت منه الكلمات والأصوات، ثم يربط بين الرؤية والسماع إلى أن يصل إلى الفهم بمعناه الخاص.

د - مرحلة الكلام الحقيقي وفهم اللغة:

هي المرحلة التي يبدأ فيها الطفل بالكلام، ويفهم مدلولات الألفاظ ومعانيها، ويظهر ذلك عادة في الأشهر الستة الأولى من السنة الثانية، وقد درس بياجيه (Piaget) المراحل التي يمرُّ بها نمو التفكير عند الأطفال، كما درس النمو في هذه المراحل، وخلص من دراسته إلى أنَّ نمو التفكير عند الطفل يمر بأربع مراحل:

١ - مرحلة اكتساب الانطباعات الإدراكية.

٢ - مرحلة التفكير الفطري.

٣ - مرحلة التفكير الحسي الإجرائي.

٤ - مرحلة التفكير المنطقي.

بينما لخص «واتس» النمو اللغوي لطفل ما قبل المدرسة على النحو الآتي:

١ - إذا كان عمر الطفل ستة شهور، فإنه يتلفظ محدثاً نوعاً من التنغيم.

٢ - إذا كان عمر الطفل اثني عشر شهراً فما فوق، فإنّه يستخدم كلمة أو أكثر في معناها (بابا - ماما)، ويفهم التعليمات والأوامر اللفظية المصحوبة بإشارات مميزة أو بتنغيمات.

٣ - إذا كان عمر الطفل ثمانية عشر شهراً فما فوق، فإنّه يستخدم أربع كلمات أو خمساً، ويستخدم كلمتين معاً.

٤ - إذا كان عمر الطفل سنتين فما فوق، فإنَّه يستطيع أن يسمّي أربعة أشياء، أو خمسة مألوفة لديه مثل: ساعة - مفتاح - سكين - قلم...الخ، ويستطيع أن يستخدم حرفين من حروف الجر في، على.

٥ – إذا كان عمر الطفل ثلاث سنوات فأكثر، فإنّه يستطيع استخدام الضمائر مثل: أنا – أنت – ياء المتكلم استخداماً صحيحاً، ويمكن أن يستخدم الجموع والأزمنة الماضية وصيغ التفضيل، ويعرف ثلاثة من حروف الجر، ويميز بين (في وتحت، وخلف)، ويعرف الأجزاء الرئيسية لجسمه مع تسمياتها.

٦ – إذا كان عمر الطفل أربع سنوات فأكثر، فإنّه يعرف أسماء الأواني الشائعة، ويمكن أن يستخدم أربعة من حروف الجر.

وهو قادر أن يسمّي الأشياء العامة في الصور، ويمكن أن يعيد ثلاثة أرقام بعد سماعها.

٧ – فإذا أصبح عمر الطفل خمس سنوات، فيمكن أن يستخدم الكلمات الوصفية بسهولة، ويعرف الأضداد الشائعة مثل: كبير وصغير، وخشن وناعم، وثقيل وخفيف...الخ، ويعرف متى يقول: من فضلك وأشكرك، ويمكن أن يعدّ إلى عشرة ويسمي نوعين من العملة أو ثلاثة أنواع.

أما فيما يتعلق بنمو الجمل، فقد أثبتت الدراسات الحديثة أنّ اكتساب الجمل عند الطفل يزداد طولاً مع النمو بدءاً من سنة ونصف إلى خمس سنوات.

أما الدراسات التي قام بها بعض الباحثين العرب على أطفال ما قبل مرحلة الحلقة الأولى، فقد أثبتت أنّ ثمة تكراراً في الكلمات والعبارات، وأنّ لهذا التكرار وظائف مختلفة، فبعضه يؤدي وظيفة لغوية، وبعضه الآخر يقصد به التأكيد، وإبراز المعاني، وبعضه الثالث لا يقصد به إلا اللذة في عملية التكرار، وأنّ الطفل يبدأ عباراته بالمسند إليه، ثم يذكر المسند بعد ذلك، سواء أكان اسماً أم فعلاً.

كما أشارت النتائج العامة إلى فروق بين الذكور والإناث من حيث حجم الكلمات ونوعها، إذ تفوقت الإناث على الذكور في القدرة اللغوية، كما توصلت النتائج إلى زيادة عدد الكلمات المنطوقة بزيادة العمر، كما أنّ الطفل يستخدم

ضمائر المتكلم أكثر من المخاطب والغائب، ولا يفرق بين حالات الإعراب المختلفة، كالمثنى والجمع.

وهنالك تصنيف ثان لهذه المراحل يندرج تحت عنوان:

مراحل نمو الأصوات اللفظية:

أ - مرحلة الطفولة (الرضيع):

١ - صيحة الميلاد:

تبدأ مظاهر الحياة عند الطفل بصيحة الميلاد التي تنتج من اندفاع الهواء بقوة عبر حنجرته إلى رئتيه، فتهتز أوتار الحنجرة، وتصدر عن الطفل صيحة الميلاد المألوفة، وتختلف هذه الصيحة من طفل إلى آخر، تبعاً لاختلاف نوع الولادة وحالة الطفل الصحية، فصيحة القوي حادة وصيحة الضعيف خافتة.

٢ - مرحلة الأصوات الوجدانية:

تتطور صيحة الميلاد حتى تصبح معبّرة عن حالات الطفل الانفعالية ورغباته النفسية، فالصرخة الرئوية المنقطعة تدلُّ على الضيق، والصرخة الحادة تدلُّ على الألم وهكذا...

٣ - مرحلة التنغيم والمناغاة:

تتطور هذه الأصوات من صيحات إلى أنغام، يرددها الطفل في لعب صوتي، ثم يستطرد في تنغيمه، حتى يكتشف لنفسه جميع الدعائم الصوتية.

وقد دلت الأبحاث أنَّ النمو الصوتي الحركي، ينتقل من العضلات الكبيرة القوية إلى العضلات الصغيرة الدقيقة.

٤ - مرحلة التقليد والاستجابة:

يستجيب الطفل أولاً لحالاته النفسية وانفعالاته الداخلية، كما بيّنا ذلك في صرخة الميلاد، وهو يستجيب للأصوات البشرية المحيطة به، فيما بين الشهر

الثاني والثامن لبدء ميلاده، ثم يتطور به الأمر، فيقلد الأصوات التي يسمعها، ويضطره هذا التقليد إلى إجادة الاستماع والإصغاء والانتباه إلى كل صوت يقع على أذنيه، وهو يجيد هذه المهارة الجديدة فيما بين الشهر الثامن والعاشر، ويستجيب للتجربة استجابة متميزة واضحة، فيما بين الشهر التاسع ونهاية السنة الأولى.

ب - نمو الرصيد اللفظي:

١ - تعدُّ السنة الأولى مرحلة الكلمة الواحدة: حيث ينطق الطفل كلمة واحدة، للدلالة على ما يريد التعبير عنه مثل كلمة (محمد)، فإنَّ الطفل قد يقصد أن يقول: محمد ضربني أو محمد أخذ لعبتي، أو أريد أن أخرج مع محمد، وهذا يطلق عليه (الكلمة الجملة)، أما مرحلة الكلمتين، فتأتي في السنة الثانية ولا سيما في النصف الأخير منها، وتكون معظم الكلمات في هذه المرحلة أسماء، ولقد درست (دوروثي مكارثي - ١٩٥٤) النمو اللغوي عند الرضيع، ولاحظت أنَّ معظم كلماته أسماء، وأنَّ الطفل يستخدم الحروف.

وتبقى الفروق الفردية واضحة، وكذلك الفروق بين الجنسين تبدو بتفوق البنات على البنين في جوانب اللغة وعدد المفردات اللغوية، ويرتبط النمو اللغوي بالذكاء وسلامة الجهاز العصبي، وثراء البيئة الاجتماعية والثقافية.

وينبغي أن نشير إلى أنَّ المحصول اللغوي من الكلمات التي يفهمها الطفل، أكبر بكثير من الكلمات التي ينطقها.

وعلينا أن نشجع الطفل على استخدام اللغة، وعدم الاستجابة لمطالبه بمجرد الإشارة، وعلينا تلافي عيوب النطق في الكلام منذ البداية قدر الإمكان.

٢ - الطفولة المبكرة (٢ - ٦) سنوات: وهذه هي مرحلة قبيل المدرسة، أي مرحلة الروضة، ويكون نمو الشخصية في هذه المرحلة سريعاً، ولذلك فهنا الكثير مما على الطفل أن يتعلمه.

وتتميز هذه المرحلة باستمرار النمو بسرعة، ولكن أقل من سرعته في المرحلة السابقة، وتتميز بالاتزان الفيزيولوجي والتحكم في عملية الإخراج، وزيادة الميل إلى الحركة والشقاوة، ومحاولة تعرف البيئة والنمو السريع في اللغة، ونمو ما اكتسب من مهارة جديدة وتكوين المفاهيم الاجتماعية، وبزوغ الأنا الأعلى، والتفريق بين الصواب والخطأ، والخير والشر، وتكوين الضمير، وبداية نمو الذات وازدياد وضوح الفروق في الشخصية، حتى تصبح واضحة المعالم في نهاية هذه المرحلة. وللنمو اللغوي قيمة كبيرة في التعبير عن النفس، والتوافق الشخصي والاجتماعي، والنمو العالي، فهذه المرحلة هي مرحلة أسرع في النمو اللغوي تحصيلاً وتعبيراً وفهماً، ومن مطالب النمو اللغوي في هذه المرحلة تحصيل عدد كبير من المفردات، وفهمها بوضوح وربطها مع بعضها بعضاً في جمل ذات معنى، وفهم لغة الأطفال والكبار، كما ينزع التعبير اللغوي في هذه المرحلة نحو الوضوح ودقة التعبير والفهم، ويتحسن النطق، ويختفي الكلام الطفلي مثل: الجمل الناقصة والإبدال واللثغة وغيرها، ويزداد فهم كلام الآخرين، ويستطيع الطفل الإفصاح عن حاجاته وخبراته، ويلخص الجدول التالي أهم مظاهر النمو اللغوي في هذه المرحلة:

العمر بالسنة	مظاهر النمو اللغوي
٣	زيادة كبيرة في المفردات + صفات كثيرة + قواعد لغوية مثل الجمع والمفرد + أمثلة كثيرة
٤	تبادل الحديث مع الكبار + وصف الصور وصفاً بسيطاً + الإجابة عن الأسئلة التي تتطلب إدراك العلاقة
٥	جمل كاملة تشمل أجزاء الكلام كلها
٦	يعرف معاني الأرقام + يعرف معاني الصباح وبعد الظهر والمساء والصيف والشتاء

كما لوحظ في مرحلة الطفولة أنَّ البنات يتكلمن أسرع من البنين، فإنَّهن في هذه المرحلة كذلك أسرع كلاماً، وأكثر تساؤلاً، وأحسن نطقاً وأفصح إبانة، وأكثر غنى في المفردات من البنين.

وكذلك يؤثر الذكاء إذ يلاحظ أنَّ اللغة تُعَدُّ مظهراً من مظاهر نمو القدرة العقلية العامة، وأنّ الطفل الذكي يتكلم مبكراً عن الطفل الغبي، ويرتبط التأخير اللغوي الشديد بالضعف العقلي.

ويتأثر النمو اللغوي كذلك بالخبرات وكمية نوع المثيرات الاجتماعية، إذ تساعد كثرة الخبرات وتنوعها والاختلاط بالراشدين في نموه اللغوي.

وكذلك وسائل الإعلام، فنجد أنّ الإذاعة والتلفاز وغيرهما من وسائل الإعلام تتيح إثارة وتنبيها لغوياً أكثر وأفضل، مما يساعد على النمو اللغوي.

وقد أثبتت الدراسات أنّ أطفال المؤسسات والملاجئ أفقر لغوياً من الأطفال الذين يتربون في أسرهم، كذلك أكدت نتائج الدراسات أنّ الأطفال الذين يعانون من الإهمال الشديد يكونون أبطأ في تعلم الكلام، وقد يتأخر كلامهم ويضطرب.

ويرى (مادرو – Madro) أنَّ التعامل والعلاقات الوثيقة والاتصالات الاجتماعية بين الطفل ومعلمه، تسهم إلى حد كبير في التقدم اللغوي المبكر.

وتؤثر الاضطرابات الانفعالية والاجتماعية تأثيراً سيئاً في النمو اللغوي، كما تؤثر العلاقة بين الطفل وأمه في نموه اللغوي السليم، ولاسيما إذا كانت العلاقة سوية.

كما تؤثر أيضاً العوامل الجسمية في هذا النمو مثل سلامة جهاز الكلام أو اضطرابه، وتساعد كفاية الحواس كذلك مثل السمع على النمو اللغوي السوي.

وتؤثر الحكايات والقصص تأثيراً كبيراً في هذه المرحلة مع التأكيد على التنويع في طرائق الإلقاء.

وقد وجد (بلانك وفرانك، Frank & Blank) ١٩٧١ أنّ الأطفال الأذكى يستفيدون لغوياً من الحكايات أكثر من الأطفال الأقل ذكاء.

وينبغي أن ننتبه إلى الفرق الشاسع في النمو اللغوي بين بداية هذه المرحلة ونهايتها، وأنّ الأطفال في هذه المرحلة يحبون الثرثرة، وهي دليل نمو القدرة اللغوية والمحصول اللغوي.

ويلاقي الأطفال الذين يتعلمون لغتين في وقت واحد صعوبة أكبر في تعليم اللغة، وتكون عيوب الكلام مثل تكرار الكلمات والتردد...إلخ عادية حتى سن الرابعة تقريباً، ويتخلص عادة من هذه العيوب فيما بين الرابعة والسادسة من عمره فإذا لم يتخلص منها أصبح شاذاً بالنسبة إلى معايير النطق الصحيح، ووجب عرضه على مختص في علاج أمراض الكلام بالعيادة النفسية، إنّ الثراء اللغوي عند الأطفال لا يقاس بعدد ألفاظه فحسب، بل بخصوبة الألفاظ وصدق دلالتها أيضاً.... والمهم أنّ الطفل منذ الكلمة الأولى التي يفهمها، ويحاكيها تأخذ اللغة بالاستيلاء على قلبه وسمعه، ويكشف أنه قادر على التعبير عن الواقع الذي يعيش فيه قصد التواصل مع من يعايشه من بني جنسه. (النوري، ١٩٩٧، ٦٧-٧٣) بتصرف.

ثالثاً - العوامل المؤثرة في اكتساب اللغة:

لما كانت الخبرة هي ثمرة التفاعل بين الفرد والبيئة، أي بين الظروف الداخلية للفرد والظروف الخارجية في البيئة، كانت العوامل المؤثرة في اكتساب اللغة ترجع إلى الفرد في بعضها، كما ترجع إلى البيئة الخارجية في بعضها الثاني، فالذكاء والمرض والفروق الجنسية عوامل تتعلق بالفرد والبيئة الاجتماعية واللغوية من العوامل الخارجية، وفيما يلي فكرة عن كلٍّ من هذه العوامل: (السيد، ٢٠٠١، ١٣١، ١٣٩).

١ - الذكاء:

تدل أبحاث «ميد Meed» على أنَّ الطفل العادي يبدأ الكلام حين يبلغ من العمر ١٥ شهراً، ويقصد ببدء الكلام نطق الألفاظ بطريقة صحيحة، وفهم معناها وعند ضعاف العقول يتأخر الكلام حتى سن ٣٤ شهراً.

وتدل أبحاث «تيرمان Terman» على أنَّ الطفل الموهوب يبدأ الكلام حين يبلغ عمره ٧ - ١١شهراً، والطفلة الموهوبة تبدأ كلامها حين يبلغ عمرها ١١ شهراً تقريباً.

ويرتبط المحصول اللفظي عند الأطفال ارتباطاً عالياً بنسبة ذكائهم، حتى إنَّ بعض علماء النفس يتخذونه أساساً لقياس ذكاء الأطفال.

٢ - البيئة الاجتماعية «الوسط الاجتماعي»:

تشير أبحاث (لورد Lord وجيزل Gesell) التي أجريت على أطفال الرياض، بأنَّ الأطفال الذين ينتسبون إلى البيئات الاجتماعية الراقية يتكلمون تلقائياً، ويعبرون بوضوح عن آرائهم، وأنَّ أطفال البيئات الفقيرة يصيحون ويضحكون في ألعابهم الحرة، ولا يميلون كثيراً إلى الحوار.

ومحاكاة الطفل للوسط الاجتماعي الذي يحيا فيه، على جانب كبير من الأهمية في اكتساب اللغة، ذلك لأنَّ اللغة هي أداة الطفل للانصهار الاجتماعي، والاتصال بالآخرين تلبية لحاجاته وإرضاء لمتطلباته.

وأهمية الأم وأفراد العائلة جميعاً في اكتساب اللغة في فترات الطفولة الأولى أقوى من أن تُذكر، إذ تشير «أنا فرويد» إلى أنَّ طفل المعاهد قد يتأخر ستة أشهر في كلامه عن الطفل السوي، وحين يرجع طفل المعاهد إلى أمه في أيام الأعياد، يتبين أنه يتقدم في لغته في أسبوع أو أسبوعين، ما لا يفعله في دار الحضانة في ثلاثة أشهر، وعلى العكس وجد أنَّ طفل العائلة إذا سافرت عنه أمه سرعان ما يفتقد موهبة الكلام التي اكتسبها حديثاً.

وأكدت أبحاث «مكارثي» أنَّ الطفل الوحيد يتمتع بانتباه أكبر من أمه، مما يجعله يكتسب اللغة بسرعة، ولتشجيع الآخرين وعطفهم أثر إيجابي في سرعة اكتساب اللغة، فإذا انتفى العطف والتشجيع أدّى ذلك إلى تأخر الطفل، لا بل إلى تعثره، إذ إنَّ بعض أمراض الكلام مثل التأتأة والفأفأة والتلعثم والارتباك، يرجع بعضها إلى فقدان العطف والتشجيع، والانفعالات الحادة التي يتعرض لها الطفل تسبب كفاً مؤقتاً أو تقهقراً في كلامه.

فإذا اجتاز الطفل مراحل الطفولة الأولى، وأضحى في الطفولة الثانية والمتأخرة يزداد تفاعله مع البيئة المحيطة به بوجهيها المادي والمعنوي، فينتقل من المجتمع الصغير إلى مجتمع الرفاق والرياض، فإذا اتسمت علاقاته بالاستواء مع الأقران والمعلمين، كان اكتسابه للغة طبيعياً، وإذا تعرض إلى هزات وانفعالات أثر ذلك في عملية الاكتساب.

ومن هنا كان لابدَّ لمعلمي الرياض من أن يوفروا الأجواء الملائمة المتسمة بالحب والعطف والحنان، فكم من معلم نَفَّرَ الطفل من أجواء المدرسة نتيجة تصرفاته القاسية البعيدة عن الرعاية والاحترام! وكم من معلم حبب الأطفال بأجواء المدرسة بسبب ما أحاطهم به من محبة وعطف وحنان!

والرصيد اللفظي للطفل يعكس المحيط الذي نشأ فيه، وليس المقصود بالرصيد حجم المفردات فقط، وإنَّما اتساع أفقها وعمق معانيها، إذ إنَّ الطفل في اكتساب اللغة يواجه أمرين:

- اكتساب شكل الألفاظ والتراكيب اللغوية.
- اكتساب ما تتضمنه تلك الألفاظ والمعاني من خبرات ومعان.

فإذا كان الوسط الاجتماعي فقيراً في مضمونه وخبراته، نشأ الطفل فقيراً في هذا المجال، وإذا كان غنياً في ثقافته، اقتبس الطفل الكثير من المناشط السائدة في هذا المحيط.

وللوسط الاقتصادي أثره الفعّال في عملية الاكتساب، إذ أثبتت الاختبارات التي قامت بها الأنسة (ديكر، Dicker) للمقارنة بين أطفال الموسرين، وأطفال المعسرين والمتراوحة أعمارهم بين السنتين والسادسة النتائج الموضحة في الجدول الآتي:

جدول يبين الرصيد اللفظي لأطفال الطبقات الموسرة والمعسرة

الأعمار بالسنين	٢	٣	٤	٥	٦
الموسرون	١٣٨	٢٣٥	٢٧٧	٣٢٤	٣٥٤
المعسرون	٩٣	١٩٣	٢٣٧	٢٦٩	٣٠٦

وأيد «اشترن» الأنسة (ديكر) في الأبحاث التي قام بها للمقارنة بين أطفال الطبقة المثقفة والطبقة العاملة، إذ توصل إلى أنّ الفرق بين هاتين الطبقتين يمثل فرقاً في مفردات الأطفال، يقرب من ثمانية أشهر لصالح أبناء الطبقة المثقفة.

٣ - البيئة اللغوية:

يعتمد الطفل على المحاكاة والتقليد في اكتسابه للغة، فإذا اتصف بعض ذوي قرباه بعيوب لغوية خاصة كالتأتأة مثلاً، فإنها تنتقل إليه، وقد تؤخر هذه الأمراض اللغوية المكتسبة نموه اللغوي.

ويقلّد الأخوة بعضهم بعضاً في أساليب الحوار، فإذا تساوت أعمارهم كالتوائم، فإنهم يتأخرون في نموهم اللغوي. وأثبتت أبحاث داي (Day) أنّ التوائم يتأخرون عن قرنائهم في مدى المحصول اللغوي، وفي طول الجمل التي يستعملونها، وفي وضوح العبارات، ويتأخرون أيضاً في بدء كلامهم، ويقدر (داي) هذا التأخر بحوالي شهر.

ويرى المربون المحدثون وعلماء النفس اللغوي أنّ اكتساب مهارات أي لغة، يتطلب وضع المتعلم في حمام لغوي، بمعنى أن يكون الجو المحيط بالمتعلم عاملاً مساعداً ومشجعاً على سرعة اكتساب اللغة، فكما أنّ المرء في الحمام

يكون محوطاً بالبخار من الجوانب كافة، كذلك ينبغي أن يكون المرء محوطاً باللغة من الأنحاء كافة.

وقديماً فطن العرب لأهمية البيئة اللغوية، فكانوا يرسلون أطفالهم إلى البادية؛ لاكتساب اللغة السليمة التي لم تشبها رطانة المدن بأي شائبة.

وفي وطننا العربي ثمة معوقات في اكتساب اللغة الفصيحة في أيامنا هذه، تتمثل في العامية المنتشرة في البيت والشارع، وفي بعض البرامج الإذاعية والتلفازية، إضافة إلى القصور في توافر القدوة والمثال في استخدام اللغة السليمة من المدرسين كافة، والقصور في تكوين مهارات التعلم الذاتي الذي هو أساس للتعلم المستمر.

٤ - المرض:

قام «سميث Smith» بدراسة مقارنة على مجموعتين من الأطفال، تتكون أولاهما من أطفال أصيبوا بأمراض مختلفة في حياتهم الأولى، وتتكون الثانية من أطفال يتساوون مع أفراد المجموعة الأولى في كلّ العوامل المختلفة المؤثرة في النمو اللغوي ما عدا المرض، ودلت نتائج هذه الأبحاث على أنّ العمر المتوسط لبدء الكلام يبلغ ١١,١ شهراً في الجماعة الأولى و ١٠,٢ شهرا في الجماعة الثانية.

ويتضح من ذلك أنّ المرض الذي ينتاب الطفل في السنوات الأولى من حياته، يؤخر نموه اللغوي إلى حد ما، ويرتبط مدى التأخر اللغوي عند الأطفال بنوع المرض الذي يصابون به، فمن المسلَّم به أنّ الأمراض التي تتصل من قريب بعملية الكلام تؤثر تأثيراً قوياً في التأخير اللغوي، ولهذا فالصمم الكلي أو الجزئي يحول بين الطفل والتقليد الصحيح للألفاظ والعبارات التي يستخدمها في حياته اليومية ولا يكاد يتبين مخارجها.

٥ - السلوك المضاد:

يبالغ بعض الآباء في تدريب أطفالهم على الكلام في سن مبكرة، وذلك قبل وصولهم إلى مراحل النمو المناسبة لتعلم الخبرة الجديدة، وقد يخفق الطفل في إرضاء والديه لعدم وصوله إلى النضج الكافي، وقد يكسبه هذا الإخفاق ثورة على الكلام، وعلى كلّ ما يتصل به، فيحجم عن الكلام حين يصل به نموه إلى المستوى المناسب لأداء هذا السلوك، وهو في إحجامه هذا، يسلك سلوكاً عكسياً مضاداً، وقد يتطور معه هذا الإحجام بعد نضج تطوره اللغوي إلى اتجاه خاص في سلوكه اللفظي، يؤدي به إلى تجنب الحوار تجنباً واضحاً.

وتقول (أزاكس) إنّ أي شقاء أو صراع أو صعوبة، قد يجلب بعض الإيقاف للارتقاء السوي بالكلام، وتؤيد (هيرلوك) هذا الرأي في أنّ قلق الطفل نتيجة شعوره بالخيبة والحرمان لسبب أو لآخر من الأسباب المباشرة لعيوب الكلام.

ويرى (لوريمر) أنّ تأمين الجو الملائم المفعم بالمحبة والتشجيع والعطف خير حافز للطفل؛ لينقل صورة نشاطه الحركي واتجاهاته الانفعالية إلى مستوى النشاط اللفظي.

ويشير (جونسون) إلى أنّ ازدياد إلحاح الآباء على أطفالهم في أمور الحياة يزيد في تلكؤ الأطفال وترددهم في الكلام.

٦ - الازدواج اللغوي:

يلاحظ أنّ الأطفال الذين يراد لهم أنّ يتعلموا لغتين مختلفتين في سن مبكرة يتأخرون في تقدمهم اللغوي، لأنّ لكل لغة صفاتها الخاصة التي تميزها عن أي لغة أخرى، ولهذا يخلط الطفل بين اللغتين فى ألفاظهما وفي تعبيراتهما، فيتأخر نموه في كلتيهما. ويرجع هذا التأخر إلى الأثر السلبي الذي يتركه تعلم لغة ما في تعلم لغة أخرى.

إلا أنَّ باحثين آخرين يرون أن مرحلة رياض الأطفال هي العصر الذهبي لأن يكتسب الطفل أكثر من لغة، ذلك لأنَّ الكفاية اللغوية عند تشوسكي، تكمن في ذروتها للعمل في هذه المرحلة، وأنَّ ثمة إمكاناً لاستثمارها في اكتساب أكثر من لغة.

٧ - الفروق الجنسية:

تشير بعض الأبحاث على أنّ البنات يتميزن على البنين في القدرة اللغوية وأسفرت أبحاث (ميد Meed) عن أنَّ الطفل المتوسط يبدأ التكلم في سن ١٥,٧ شهراً، بينما تبدأ الطفلة المتوسطة كلامها في سن ١٤,٨ شهراً، وأسفرت أبحاث مكارثي عن أنَّ نسبة الاستجابات المفهومة عند الذكور تبلغ ١٤% في سن ١٨ شهراً، وتبلغ حوالي ٣٨% عند الإناث في السن نفسها. وأشارت هذه الأبحاث إلى أنَّ البنات أكثر تقدما من البنين في عملية اكتساب اللغة، بسبب وفرة الوقت الذي تقضيه البنت بجانب أمها أكثر من الذكور الذين غالباً ما ينصرفون إلى اللعب في خارج البيت.

تلك هي بعض العوامل المؤثرة في اكتساب اللغة، ولسنا هنا في مجال الحصر، حيث هناك من يضع تصنيفاً آخر لتلك العوامل، حيث يكتشف من مسح التراث الغزير من الدراسات التي أجريت حول التطوير اللغوي للطفل أنَّ أكثر العوامل التي حظيت بحظ وافر من الدراسات هي العوامل التالية: (كرم الدين، ١٩٩٠، ٣٨).

أ - العوامل الفردية كالجنس والذكاء والعنصر.

ب - العوامل البيئية كالمستوى الاقتصادي / الاجتماعي للأسرة، ونوع الخبرات التي يتعرض لها الطفل بصفة عامة وعدد اللغات التي يتعلمها.

أ - العوامل الفردية Individual Factors:

١ - عامل الجنس Sex:

تشير أغلب الدراسات التي تصدت للكشف عن الفروق بين الجنسين في مجال التطور اللغوي، إلى أنّ إحدى النتائج الثابتة والمتكررة التي كشفت عنها مختلف تلك الدراسات هي وجود فرق في صالح الإناث في جميع جوانب التطور اللغوي التي درست وفي أبعاد ذلك التطور كافة.

وتوضح تلك الدراسات أنه في كل مرة قورن فيها التطور اللغوي لمجموعات من الفتيات والفتيان متكافئة في المستوى الاقتصادي/ الاجتماعي والذكاء وغيرها من المتغيرات، أنه يظهر دائماً فرق له دلالة في صالح الفتيات، وقد وجد هذا الفرق سواء في العمر الذي يصل عنده الطفل لكل من المراحل المميزة للتطور اللغوي، أم في السن التي تنطق عنها الكلمة الأولى، وكذلك في جميع المؤشرات الدالة على التطور اللغوي مثل طول الجملة والحصيلة اللغوية وفهم الكبار لحديث الطفل وغيرها.

وعلى ذلك يمكن الاستنتاج بأنّ الدلائل العديدة والمتراكمة التي كشفت عنها مختلف الدراسات، وهي دراسات استخدمت مواقف وطرائق مختلفة للاختبار والملاحظة وتحليل النتائج ومؤشرات مختلفة على التطور اللغوي، قد قدمت الدليل المقنع على وجود فرق حقيقي بين الجنسين في التطور اللغوي، وهو فرق في صالح الإناث.

٢ - عامل الذكاء Intelligence:

على الرغم من أنّ هناك اتفاقا كبيرا بين علماء نفس الطفل، بشأن العلاقة الوثيقة التي تربط بين التطور اللغوي للطفل وتطوره العقلي وبصفة خاصة الذكاء، إلا أنّ هناك قدرا كبيرا من الخلط والغموض حول مختلف أبعاد هذه العلاقة المعقدة.

وتبين الأدلة التجريبية أنّ هناك علاقة قوية بين ذكاء الطفل، كما يقاس باختبارات الذكاء وتطوره اللغوي، وعلى سبيل المثال نجد أنّ الطفل المعتوه Idiot الذي لا تتجاوز نسبة ذكائه ٢٥، لا يتمكن على الإطلاق من الكلام، بينما وجد تيرمان Terman في دراسته الشهيرة على الأطفال الموهبين gifted، أنّ هؤلاء الأطفال كمجموعة قد تمكنوا من الكلام في المتوسط عند حوالي أحد عشر شهراً، كما بينت دراسات عديدة أن متوسط عمر الكلام لدى مجموعات المتخلفين عقلياً كان ٣٨,٥ شهراً، بالمقارنة مع مجموعات الأطفال العاديين الذين تمكنوا من الكلام في المتوسط عند سن ١٥,٥ شهراً.

وأخيراً أكدت نتائج الدراسات التي درست العلاقة بين التطور اللغوي وعامل الذكاء وجود علاقة ارتباط قوية وموجبة بين المتغيرين، مما يدلُّ على وجود علاقة ارتباط حقيقة وجوهرية بين التطور اللغوي و الذكاء.

ولكن من الضروري الإشارة إلى أنّ النتائج السابقة، لا تُمكننا من استنتاج أي العاملين هو السبب وأيهما النتيجة؟ بمعنى آخر هل تفوق الشخص لغوياً هو الذي يجعله يحصل على تغيرات أعلى في اختبارات الذكاء، أم أنّ ارتفاع ذكائه هو المسؤول عن سرعة تطوره اللغوي.

فالنتائج السابقة، لا تُمكننا من حسم هذه القضية بسبب العلاقة المعقدة بين العاملين، فقد يكون أحدهما السبب والآخر النتيجة، كما أنّه بالإمكان عكس هذه العلاقة السببية؛ ليصبح السبب نتيجة، بل قد يكون هناك عامل ثالث كالمستوى الاقتصادي / الاجتماعي هو المسؤول عن الثبات والاتساق والتوازي في تطور الذكاء والمهارات اللغوية.

٣ - عامل العنصر Race:

كشفت نتائج الدراسات القليلة التي حاولت التصدي لمقارنة التطور اللغوي للأطفال الذين ينتمون لمختلف الأجناس أو الجنسيات عن نتائج متناقضة إلى حد ما.

فبينما بينت نتائج بعض تلك الدراسات تفوق الطفل الأبيض على الطفل الزنجي في مختلف جوانب التطور اللغوي، لم تكشف نتائج دراسات أخرى عن وجود فروق بين أطفال الزنوج وأطفال البيض بالولايات المتحدة الأمريكية.

إلا أنّ الشيء المهم الذي كشفت عنه تلك الدراسات هو وجود التطورات نفسها النمائية لدى الأطفال في مختلف الدول، بصرف النظر عن العنصر أو الجنسية التي ينتمي إليها الطفل واللغة التي يتعلمها.

فقد لوحظ ثبات نظام تتابع المراحل Sequence of stages التي يمر بها اكتساب اللغة لدى الأطفال في السويد والنرويج والدانمرك ويوغسلافيا والاتحاد السوفيتي سابقاً وبولندا وهولندا واليابان وغيرها من الدول التي أجريت فيها دراسات التطور اللغوي. ومما يزيد من أهمية هذه النتائج ودلالتها اختلاف إنموذج الحضارة التي ينشأ فيها الطفل، واللغة التي يتعلمها في هذه المجتمعات.

ب – العوامل البيئية Environmental Factors:

١ – المستوى الاقتصادي/الاجتماعي لأسرة الطفل Socio/economic - Level:

هناك أدلة متعددة وكثيرة على وجود علاقة قوية وواضحة ووثيقة بين المستوى الاقتصادي / الاجتماعي لأسرة الطفل وتطوره اللغوي، وقد كشفت هذه العلاقة عن نفسها في جميع أنواع التحليل التي استخدمت، وفي كلٍّ جوانب التطور اللغوي التي دُرست. فقد أكدت نتائج هذه الدراسات أنّ الطفل الذي ينتمي للمستويات الأعلى لا يستخدم فقط جملا أكثر طولا، ولكنه يستخدم كذلك جملا أكثر نضجاً وتطورا، وأنه يستخدمها عند أعمار تقلُّ بكثير عن قرينه الذي ينتمي لمستويات الدنيا.

كما كشفت نتائج تلك الدراسات كذلك عن ميل لزيادة الفروق والاختلافات بين الأطفال الذين ينتمون للمستويات المختلفة مع زيادة أعمارهم.

٢ - نوع الخبرات التي يتعرض لها الطفل (Kind of experiences):

كشفت نتائج الدراسات التي أُجريت حول التطور اللغوي للطفل، عن وجود علاقة بين ذلك التطور، وبعض الخبرات التي يتعرض لها خلال مرحلة الطفولة المبكرة.

ومن بين أهم تلك الخبرات:

أ - السفر والأحداث التي توسع خبرات الطفل.

ب - نمط الحياة الأسرية (Pattern of family life)، وبصفة خاصة التفاعل الاجتماعي بين الطفل والوالدين.

ج - عمر الأشخاص المحيطين بالطفل.

د - حياة المؤسسات الاجتماعية ودور الرعاية.

أ - السفر والأحداث التي توسع خبرات الطفل:

كشفت عدة دراسات أنَّ تَعُرضَ الطفل لبعض الخبرات التي توسع مداركه مثل السفر وغيره من الأحداث يصاحبه زيادة كبيرة في تطوره اللغوي، وبصفة خاصة حصيلته اللغوية.

ويرى بعض العلماء أنّ الفروق الواضحة والثابتة، كشفت عنها مختلف الدراسات بين الأطفال الذين ينتمون لمختلف المستويات الاقتصادية/ الاجتماعية، قد ترجع على الأقل جزئيا للاختلاف في الخبرات التي يتعرض لها الطفل في مختلف المستويات.

ب - نمط الحياة الأسرية والتفاعل بين الطفل والوالدين:

(Pattern of Family Life and Social Interaction)

كشفت بعض الدراسات أنّ هناك أنماطاً للحياة الأسرية والتفاعل المتبادل بين الطفل والأسرة، تساعد على تطوره اللغوي، بينما لا تساعد أنماط أخرى

على ذلك. وقد أشارت تلك الدراسات إلى أنَّ التطور اللغـــوي للطفـــل يرتبـــط ارتباطاً وثيقا بحجم التفاعل الاجتماعي بين الطفـــل والوالديـــن، فالأســـر التـــي تحرص على قضاء فترات طويلة مع أطفالها وتبادل الآراء والمناقشات معـــهم، وإشراك الطفل في تلك المناقشات، تساعد التطور اللغوي للطفـــل بكـــل أبعـــاده وجوانبه.

ج - عمر الأشخاص المحيطين بالطفل:

يشير الحجم الأكبر من الأدلة التي كشفت عنها الدراسات إلى أنَّ التطـــور اللغوي للطفل الذي يصاحب بصفة مستمرة البالغين، يكون أسرع منه لدى الطفل الذي يرافق الأطفال، لذلك يمكن القول: إنَّ مرافقة البالغين تؤدي في الغالب إلـــى زيادة معدل التطور اللغوي للطفل.

وتساعد هذه النتائج على تفسير ما كشفت عنه دراسات أخرى من تفـــوق الطفل الوحيد في تطوره اللغوي، ومن تأخر التطور اللغوي للتوائم بصفة عامة.

د - حياة المؤسسات الاجتماعية ودور الرعاية:

كشفت الدراسات المختلفة، وأكدت مراراً أنَّ الأطفال الذين ينشـــؤون فـــي البيئات المحرومة(Deprived)، بالمؤسسات والملاجئ وغيرها يكونون من أكـــثر المجموعات تأخراً في تطورهم اللغوي، كما بينت أنَّ التطور اللغـــوي لـــهؤلاء الأطفال بكل جوانبه وأبعاده يتأثر تأثرا بالغا بهذا النوع من البيئات.

ومن الضروري الإشارة إلى أنَّ هناك عدة عوامل تتداخل عنـــد دراســـة العلاقة بين التطور اللغوي والحياة في هذه المؤسسات، وذلك لكون الأطفال الذين يعيشون في هذه البيئات يأتون في الغالب من أدنـــى المســـتويات الاقتصاديـــة / الاجتماعية، كما تقل نسبة ذكائهم في المعتاد، هذا بالإضافة لتعرضهم لخـــبرات محدودة.

إلا أنَّ حجم التأخر في تطورهم اللغوي، يجعل من الضروري إرجاع هـــذا التطور على الأقل جزئيا لطبيعة البيئة في هذه المؤسسات.

٣ - تعدد اللغات التي يتعلمها الطفل:

هناك عامل بيئي آخر، له أهمية كبيرة في التطور اللغوي، واكتساب اللغة لدى الطفل ما قبل المدرسة، وهو سماع أكثر من لغة وتعلمها، وبصفة خاصة لغتين في الوقت نفسه.

ويهم الآباء والمعلمون أن يعرفوا الإجابة عن بعض التساؤلات حول هذه القضية الهامة على سبيل المثال:

هل من المفيد أم الضار للتطور اللغوي للطفل أن يسمع ويتعلم لغتين في الوقت نفسه، خلال الفترة الحرجة في تطور الطفل اللغوي؟

أم أنه من الأفضل للطفل أن يحقق أولا حداً أدنى من إتقان اللغة الأولى قبل أن تُقدَّم له اللغة الثانية؟

ومن الجدير بالملاحظة أنّ التساؤلات السابقة لا تتعلق فقط بطفل ما قبل المدرسة، بل كذلك بتعلم الطفل لغة أجنبية خلاف لغة الأم خلال السنوات الأولى من الدراسة. والملاحظ أنّ الأدلة العملية حول هذه القضايا العملية المهمة التي تمس حياة الأفراد مازالت ناقصة ومتناقضة.

ولعلّ أهم ما كشفت عنه الدراسات التي تصدت لدراسة أثر تعلم لغتين في الوقت نفسه (Bilingualism) من التطور اللغوي للطفل من نتائج ما يلي:

١ - يكون التطور اللغوي للأطفال الذين يتعلمون لغتين في الوقت نفسه متأخرا عنه لدى الأطفال الذين يتعلمون لغة واحدة.

٢ - تزداد نسبة من يعانون من مشكلات لغوية كالتأتأة أو (التهتهة) وغيرها بين الأطفال الذين يتعلمون أكثر من لغة عنها بين الأطفال العاديين.

٣ - يفضل إدخال اللغة الثانية بعد تخطي المرحلة الحرجة في التطور اللغوي للطفل، أي بعد تخطي سن عام ونصف، لأنّ الآثار السيئة لإدخال اللغة الثانية تزداد عند الأعمار الحرجة التي تكتسب عندها اللغة الأولى.

٤ – في حالة تعلم الطفل لغتين في الوقت نفسه، يفضل أن يسمع الطفل كلّ لغة باستمرار من مصدر واحد، أي أن يتلقى الطفل اللغتين من مصدرين مختلفين وثابتين، كأن يتلقى اللغة الأولى على الدوام من الأب، واللغة الثانية على الدوام من الأم.